المحاضرةالثالثة: خصائصالثقافةوتصنيفاتها

المطلب الاول: خصائص الثقافة

تتميزالثقافةبمجموعةمنالخصائصأهمها:

1. **الثقافةإنسانية**: كون الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه إنتاجأفكار ووسائل وأدوات تحقق له التكيف مع محيطه والتحكم فيه، ولا يمكن لغيره من الكائنات القيام به، وهذه الثقافة إنسانية لتنظيم حياته الاجتماعية والنفسية والاقتصادية ، حيث تقوم بتيسير وتنظيم شؤون حياته، وهي تشكّل السياق الكلي الذي يشكل للأفراد التنوع الإنساني من خلال الثقافة الضمنية التي تتجاوز الموقف الوصفي كما يذكر تايلورو أرنولدو المجتمعات على اختلافها تتشابه في بعض أشكال الثقافة غيرأنها تتنوع في مضامينها.
2. **الاستمرارية**:

تحتفظ السمات الثقافية بكيانها و خصائصها لأجيال متلاحقة و عديدة رغم التغيرات والعوائق والمستجدات، التي قد تواجه المجتمعات خاصة عندما تحقق الإشباع المدعم من قبل الخبرات و المهارات ، كما أن هذه السمات تجتمع وتندمج وتتفاعل مكوناتها وعناصرها، فتنتقل الأنماط الثقافية بذلك بين الأوساط الاجتماعية بطريقة واعية حتى داخل الثقافة نفسها وداخل نفس المجتمع ثم إلى مجتمعات أخرى. بل أن هذه العناصر الثقافية تشكل لاحقا نسقا منسجما مع السمات الثقافية وتتغير استجابة للتغيرات حيث تكتسب من البيئة الداخلية والخارجية للأفراد.

3. **الثقافةمعقدة**:

فهي حسب تايلور كل معقد بسبب ترابط سماتها وتشعب موضوعاتها ومجالاتها وتجمعها خلال الزمن، والاستعارة الثقافية التي قد تلجأ إليها في حالات أخرى ، وهي تنظيم معقدمن وحدات تشكل النظم الثقافية، يقوم على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد فيما بينهم وبينهم وبين مجتمعاتهم، إلى جانب التفاعل القائم بينالنظم الثقافية والنظم الأخرى.

4. **الاستقلالية**:

فالثقافة مستقلة عن الأفراد الذين يحملونها كما ذكرنا آنفا، إلا أنهم يمارسونها دائما في سلوكاتهم اليومية وطقوسهم وعاداتهم وأساليب الحياة وأنماط القيم، فهي مكتسبات وتعلّمات يمكنهم تمثلها من المجتمع الذي يعيشون فيه ، وهي خارجية كما يذكر دوركايم ،بمعنى أن لها سابقة على الأفراد ومستقلة عنهم، بحيث يمكن ملاحظتها منفصلة عن الحياة الفردية.

5. **الخصوصيةالثقافية للمجتمعات والأمم**:

لكل مجموعة ثقافتها عن المجموعات الأخرى،أي لها ثقافتها الخاصة بها كثقافة أمة معينة الثقافة الفرنسية ، ثقافة الطبقة العاملة،أو ثقافة جماعية إثنية في بلد ما كثقافة الايطالية الأمريكية،

أو ثقافة مجموعة خارجة عن التيار كثقافة البنكس Punks ، وهي تتأثر بدرجة الكثافة الديناميكية للمجتمعات ومدى تعقد وترابط أو انسجام منظومة السلوك الذي تحكمه معايير قد تختلف نسبياً من مجتمع إلى آخر، ومدى سيطرة العقل الجمعي بها.ولابد من الاشارة إلى أن جميع هذه المجموعات تتداخل مع بعضها البعض، وتشترك في جوانب معينة فيها بينها (ثقافة الطبقة العاملة التي هي جزء لا يتجزأ من الثقافة الامريكية العامة)

6. **للثقافة معنى**:

تحتوي الثقافة على معنى، بواسطته يستطيع الفرد أن يفهم ويستوعب ويستجيب فكريا وعاطفيا لما يدور حوله من أمور، كونها حسب رايموند ويليامز توصيف للتطور الروحي والذهني والجمالي كنشاط او كعملية محددة ، فهي تأخذ معاني جديدة مستمدة من التطور الاقتصادي والاجتماعي و ما يشترطه الوعي الجماعي ، لذلك يعتقد مفكرو مدرسة فرانكفورت أن النتاج الثقافي نفسه يطوّر أفكار الانسان ويمنحه معاني جديدة.

7. **الثقافة رمزية:**

حيث تتجسد الافكار والقيم والمعتقدات في الرموز،فقد تكون تصويرية أو جزءًا من لغة مكتوبة،أمّا نتاج صنع الانسان فهو شيء مادي يحمل أفكار تلك المجموعة وقيمها ومعتقداتها، وان كانت **صناعة الثقافة** اليوم تعتمد على معطيات رمزية مدروسة من أجل استعمار العقل الجماعي كما هو حادث في الولايات المتحدة الامريكية وأوربا ، وتبرير ذلك تنه كلما سجل التطور في ميادين الحياة المختلفة كلما شحبت الروح الانسانية وتناقصت المظاهر الروحية ولم يبق منها إلا الرموز التي تميز مجتمعا بعينه.

8. **الثقافة اعتباطية:**

نتاج للنشاط الانساني وليست فعلا من أفعال الطبيعة ، لذاك فهي معرَّضة للتغيير إذا ما تغيَّرت ظروف الحياة للمجموعة.

9. **الثقافة متغيرة:**

تُشكِّل الثقافة نسقاً فرعياً متميزاً ومستقلاًضمن النسق الاجتماعي العام ، وهو يتفاعل مع بقية الأنساق الفرعية الأخرى ويتطور معها وبها، ويغذيهامجتمعة بقيم ومعايير وأفكار وتقاليد وضوابط مماثلة فيخلق نسيجاً ثقافياً واحداً قادراً على إعادة إنتاج نفسه، محافظا على ثوابته المتمثلة في عناصره العامة أو عمومياته الثقافية.ولكونه نسقا فرعيا ضمن كلٍّ قابل للتغيير فهو كذلك قد يصيبه التغيير في كليَّتِه أو في جزء منه في إطار بنائه المادي أو اللامادي سواء بالإضافة تارة أو حذف أخرى كانت موجودة تارة أخرى أو تعديلها لتتفق مع الظروف الجديدة.

10. **الثقافة متناسقة:**

أي أنها تكون متناسقة مع الثقافة المثالية وغير متناقضة معها مما يجعل المجتمع يكتسب هوية متجذرة، متجانسة ومتناسقة،تتوازن توازنا ديناميا مستمرا خلال الزمن.

المطلبالثاني: تصنيفات الثقافة

يمكن أن تصنف الثقافة إلى:

1. **ثقافةفردية و أخرى جماعية**:

يتباين الأفراد من حيث الذكاء والجنس وما إلى ذلك وتؤدي هذه التباينات بمرور الزمن ونتيجة التجارب الفردية إلىاكتساب كل واحد منهم ثقافة خاصة به ، تُبلور الهوية الفردية لكل شخص في ضوء تجربته الثقافية ، إلَّا أن الثقافة الفردية هي التي يؤكد فيها الأفراد على الاعتناء بأنفسهم وبأعضاء أسرهم ، وبالتالي فهي تتمركز حول الذات بدل المجموعة كونهاتجد نفسها غير مترابطة معها نتيجة نمطها الاتصالي الضعيف ووضعها للعلاقات مع الآخرين ضمن ميزان الفائدة والنفع المرجو منها ، إلى جانب تقديرهالانجازاتهاو أهدافها الشخصية ، بدلالأهداف والغايات الجماعية. وهي بذلك تميل إلى التنوع بشكل أكبر من الثقافات الجماعية، هذه الأخيرة هي عكس ما سبق ضمن الثقافة الفردية، حيث أنها سمة لثقافةٍ توجِّه الأشخاص تجاه ما هو خير للمجموعة،حيث نجد أنه في الثقافات المتميزة بالجماعية العالية ، يهتم الأفراد ويعتنون بجماعة الآخرين ، ويتوقعون أن يعتني الآخرون بهم.

2. **ثقافة ذكورية مقابل الأنثوية**:

عرف العالم الثقافة الذكورية لقرون عديدة ، فالرجل هو من كان يسود ويحكم في البيت والسياسة والاقتصاد و الثقافة، وقد عزّز وجود وهيمنة الثقافة الذكورية تمسُّك الذكر بالامتيازات التي تمنحها لهم الموروثات الثقافية وتعزّزها وتحميها التشريعات القانونية والأجهزة التنفيذية مضافاً إليها التفسيرات الدينية، مقابل خضوع الغالبية العظمى من النساء وتبنِّيهنلها إلى حد التوحد معها والدفاع باستماتة عن استمرارها من خلال اعادة انتاج القيم والسلوك المعزز لها. و تمثِّل هذه الثقافة عدم التكافؤ المسجل بين الرجال والنساء في المجتمع ، ودرجة مشاركة كلّ منهما، والقيم المرتبطة بالجزاء والعقاب الى جانب درجة شيوع مصلحة الذكور على حساب الإناث،ويحدد هذا البعد ما إذا كان المجتمع يمنح النساء أدوارا أكبر في المجالات القيادية العليا أم لا. ولذلك فإن الدرجة العالية تدل على أن ثقافة المجتمع السائدة هي ذكورية الثقافة والممارسات وبالتالي يتسم بالحزم والتنافسية، وأما الدرجة المتدنية فتعني أن ثقافة المجتمع تتجه إلى الثقافة الأنثوية التي تمثل نوعاً من الليونة ومنح النساء أدواراً أكبر، وقد فصل بيار بورديو في هذا الموضوع الشيء الكثير.

3. **ثقافة الانثوية مقابل الذكورية :**

هذه المجتمعات بقلتها أين تسود مصالح الأنثى على الذكر، وتتحكم في النظم والبناءات المجتمعية المختلفة، وتحدد القيم الثقافية التي تزيد من هيمنة المرأة على الرجل وتتحكم في خياراته والتقديرات الممنوحة له، وتحدد النجاح المادي الذي قد يحققه كون وصفات البطولة مقتصرة على الأنثى دون الذكر، وهنا نلمس ثقافة تدعو الى تأنُّث العمل وتوليد روح التعاون والتَّكافل والتسامح فيما بين أعضاء المجتمع.

4. **ثقافة محسوسة وأخرى لا محسوسة:**

من العلماء الذين صنفوا هذا التصنيف أوجبرن ونيمكوف، وسار سوروكن على نفس النهج وفيه تعتبر الماديات إحدى الجوانب الهامة في مكونات الثقافة التي تنتج عن العقل الانساني، كما تعتبر اللاماديات من أهم أركان الثقافة (الضمنية) وهي تنقسم إلى عنصرين هما: الأفكار والمعايير مثل الاتجاهات، الآمال، التقاليد، المعرفة، المعتقدات، مقدمات الافعال وكل من عناصر الثقافة المادية واللامادية تدور حول اشباع الحاجات الرئيسية للفرد، الامر الذي يعطيه نمطه الاجتماعي الذي هو جوهر الثقافة.

5. **ثقافة ظاهرية وأخرى باطنية:**

من العلماء الذين اعتمدوا هذا التصنيف ميرتون الذي قسمها إلى قسمين: منها ما يقوم بالوظيفة الظاهرة، ومنها ما يقوم بالوظيفة الباطنية، وهذا التقييم يساعد على تفسير كثير من العادات والتصرفات الاجتماعية ،بتحليل الأنماط الاجتماعية التي قد تبدو بعيدة عن العقل والمنطق.

6. **ثقافة مثالية وأخرى واقعية :**

المثالية في الفلسفة هي موقف فلسفي نظري وعملي يرُد كل الظواهر الوجودية الى الفكر أو يجعل من الفكر منطلقا لمعرفة الوجود أو الحقيقة، مؤكدا على اسبقية المثال على الواقع، وعليهفالثقافة المثالية هي تلك التي تشتمل على الطرق التي يعتقد الناس أن من الواجب عليهم السلوك وفقها، أو التي قد يرغبون في إنتاجها،أو التي يعتقدون أنه من الواجب عليهم السلوك بمقتضاها، أما الثقافة الواقعة أو الواقعية فإنها تشكَّل من سلوكهم الفعلي، وفي الثقافات التي تجتاز تغيُّرا سريعًا فان الفاصل بين الثقافة المثالية والواقعية آخذ بالتأكيد في الإتِّساع، وتؤدي هذه الفجوة الى التَّخلف الثقافي.

7. **ثقافة حية و أخرى ميتة:**

هي التي لا تقبل بضمّ أو استعارة أو تمثل خبرات أو عناصر أو انماط سلوك جديدة الى مخزونها الثقافي القيمي والفكري والسّلوكي،إلاّ إذا كانت هذه الخبرات لا تتصادم أو تتعارض مع موجودات

ومكتسبات ثقافية سابقة ومتجذرة تضمن بقاءها المتوازن والمنسجم وتساهم في تطورها الإيجابي،حيث ترى في الواقع من جهة، محرّكاتصحح من خلاله أخطاء أو تجاوزاتفكرية أو عقدية أو سلوكية ، فتغيره نحو الصواب، وهي تشجع الاختلاف الثقافي فتعيد ضبط واستيعاب الافكار والمفاهيم والقيم الجديدة وتدمجها تكييفيا مع منظومتها الثقافية الحية. ومن جهة أخرى ، قديصبح الواقع ذاته عائقا حينما لا يتيح لها امكانية تفعيل عملية التغيير الثقافي الإيجابي الحتمي أو المقصود.أمّا الثقافة الميتة فهي التي تخضع لسيطرة الواقع وتجعل منه مسوغا يبرر ضعفها فتتحول من وظيفة التنشئة الهوياتية والبناء الثقافي إلى وظيفة التبرير ، فتضطر بذلك في كثير من الأحيان إلى تغيير بنيتها مما قد يهدد بناءها ومكوناتها الداخلية أو حسن أدائها لمهامها وتخاف من التنوع والاختلاف الثقافي نتيجة لضعف مناعتها في مواجهة المستجدات الثقافية الداخلية أو الخارجية، فتعاني في سبيل حماية هويتها ولا تسهم في الإنتاج الثقافي لا الفكري ولا المادي بل تبرع في التقليد والتكرار.